

مِفْتَاحُ الْإِسْلَامِ الْكَوْتَرِي

بِقِطْعَةِ الْعَلَامَةِ

الشيخ محمد زاهد الكوثري

المتوفى سنة ١٢٧١ رضى الله عنه

كان وكيل المشيخة الإسلامية في دار الخلافة العثمانية
وأستاذ العلوم القرآنية في (معهد التخصص في التفسير
والحديث) وأستاذ الفقه وتاريخه في القسم الشرعي من
الجامعة العثمانية وأستاذ العربية في دار الشفقة الإسلامية

جميع الحقوق محفوظة للناسخ

١٤١٤ هـ — ٢١٩٩٤

« طبعة منبذة ومنقحة »

الناسخ

المكتبة الأزهرية للناسخ

٩ درب الامتراك خلف الجامع الأزهر الشريف

٥١٢٠٨٤٧ ت

تحذير الأمة من دعاة الوثنية

لا يهتني منبت ذلك المتعالم في مطلع قرن الشيطان ، ولا صلته
بمسيلة ولا اندساسه وبين الأزهرين متظاهرا بأنه من أتباع أحمد
الأئمة المتبوعين - رضى الله عنهم - ولا ما آل إليه أمره من الطرد
والإبعاد عن الأزهر الشريف ، بعد انكشاف ستره ، حفظا لكرامة آخر
محل للإسلام ، لأنها أمور مكشوفة لا غطاء عليها بل يعلمها الجمهور
من أهل القطر وسائر الأقطار .

وإنما يهتني ويهم كل مسلم غيور أن يتظاهر مثله بسظهر الدعوة
إلى مذهب السلف الصالح بين أصحاب القلوب الصافية من عامة
المسلمين ، ويبت سموه الفتاكة بينهم باسم السنة فيسبى إلى سمعة
البلد وسمعة الإسلام ، فلا ندع هذا البججاج النجاج يعيث بين المسلمين
فسادا ، ولا تتركه يتفلت من موضوع بحثنا بتوسيع دائرة الكلام إلى
ما لا شأن لنا به من الثرثرة الفارغة إخفاء لنحلته التي تمت إلى الوثنية
بأوثق وشيجة ، بل كلما حاول الإفلات ففسكه من أذنه ونزده إلى
موضوع ما يدعو إليه من الضلال الصريح ، ونضطره إلى الحديث
حول دعوته فقط .

فأنت أيها الداعى تدعو الأمة علنا جهارا إلى ما فى كتاب إمامك
الدارمى الذى طبعته جماعتك قبل شهر فقط ، وإلى ما فى كتاب السنة
الذى تقررون أنه كتاب عبد الله ابن الامام أحمد ، ولست بتاركك
تخادع المسلمين بما فيها من الجاهلية الجهلاء ، والوثنية الخرفاء إلى
أن أن تتوب وتتيب وتنبأ مما فيها من دسائس الوثنية وصرائح الكفر
الناقل من الملة .

وقد ذكرت جملة مما فى كتاب الدارمى من الكفريات فى مقال لى سابق
- بدون تعليق عليها - وأما اليوم فأتحدث عنها واحدة واحدة ،
إلى أن يأتى دور الكلام على ما فى كتاب السنة المذكور فأتحدث عنه
أيضا إن شاء الله تعالى إلى أن يقتنع الجمهور .

وكتاب الدارمي هذا تعد ما فيه محض السنة في مقالك الذي تتحدى به في مجلة أنصارك - وفي أول الكتاب أن ابن تيمية كان جد معجب به ، وكان يوصي به أشد الوصية - وكذا تقولون أيضاً عن ابن قيم الجوزية ، فإذا يكون الكلام في مسائل الكتاب المذكور كلاماً في صريح معتقدك ، ومعتقد أنصار سنتك ومعتقد الشيخ الحراني ، وتلميذه ابن زفيل باعترافكم ، وهذا يقصر مسافة الرد ، ويسهل الوصول إلى نتيجة حاسمة في إيضاح معتقدكم .

فأول الكلمات التي أخذت بها الدارمي تغييره في كتابه (ص ٤) مخاصمه « بأنه يجهل مكان واحد » يعنى الله سبحانه - وهذا يتكرر منه في الكتاب مرات فيكون اعتقاده هو أن الله يعويه مكان ، ويقله سطح ، وذلك قول بالتجسيم . ومن يعد الله سبحانه متمكناً بمكان فهو عابد وثن ، خارج عن جماعة المسلمين ، كما نص على ذلك غير واحد من آئمة أصول الدين ، تعالى الله عن إفك الأفاكين .

ومنها قوله (ص ٢٠) : « الحى القيوم ... يتحرك إذا شاء وينزل ويرتفع إذا شاء ، ويقبض وييسط إذا شاء ، ويقوم ويجلس إذا شاء » لأن أماره ما بين الحى والميت المتحرك ، كل حى متحرك لا محالة ، وكل ميت غير متحرك لا محالة » هذا نص كلام الدارمي ويتكرر ذلك في كتابه ، فإذا معبود هذا الخاسر يقوم ويجلس ويتحرك ، ولعل هذا الاعتقاد ورثه هذا السجزي من جيرانه عباد البقر ، ومن اعتقد ذلك في إله العالمين يكون كافراً باتفاق ، فياويح من يقتدى بمثله في الصلاة أو بناكحه ، فإذا تكون حال من يرتضى هذا الكتاب أو يوصى به أشد الوصية أو يطبعه للدعوة إلى ما فيه ؟ وهذا هو توحيدكم الذى إليه تدعون ، فلينعم الأستاذ المنصوري بالامن هذا التوحيد ، وهو يتطلب توحيداً يرضاه البروتستانت .

ومنها قوله (ص ٢٣) : « والله تعالى له حد .. ولمكانه أيضاً حد ، وهو على عرشه فوق سبعواته ، وهذان حدان اثنتان ... وكل

أحد بالله وبمكانه أعلم من الجسمية» وهذا نص كلامه ، ويتكرر أيضاً في الكتاب وهو كلام لا يدع مجالاً لتبرئة قائله من التجسيم ، والتجسيم ما هو إلا وثنية ، فبما لمن يحاول هندسة معبوده هكذا بالذراع والباع ، وأنى لهم التمسك بآية الاستواء والاستواء له معان ، ولعرش أيضاً معان في اللغة ، وليس فيما يضاف إليه تعالى معنى الاستقرار والتسكن والعود والجلوس والركوب بإجماع أهل الحق بل حكم الآية التفرؤض مع التنزيه أو الحمل على مثل معنى الملك والاستئثار بالملك ، والبدء في إصدار الأمر والنهي ، ونحو ذلك مما هو مشروح في محله على مفنى اللغة ولسان التخاطب ، وكفر من يثبت الحركة والعود والحدود له تعالى مما لا يناطح فيه كبشمان ولا يتنازع فيه مسلمان .

ومنها قوله (ص ٢٥) في آدم عليه السلام : « خلق آدم بيده مسيماً » ويتكرر هذا أيضاً في الكتاب فتراه يحمل خلقه تعالى لآدم على مزاوله الطين بالجارية ، وهذا جهل فاضح باللسان وكفر مكشوف . وإنما معنى خلقه تعالى آدم بيديه عنايته الخاصة بدون جارية ، وفي كلام العرب « يدلك أوكنا » . ويصدق ذلك قوله تعالى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » (١) .

ومنها قوله (ص ٧٤) « إنه ليقعد على الكرسي فما يفضل منه إلا قدر أربع أصابع . . » أنظر إلى هذا الأخرق كيف يثبت لله سبحانه الععود على الكرسي يخلق موضعاً منه في جنبه لإقعاد رسوله فيه صلوات الله عليه ، كما هو مذهب البر بهارية الأندال ، والعقود في تعارف أهل اللسان ننى الساق ووضع الأليتين على الأرض ، هكذا يكون إيمان هؤلاء في الله ورسوله ، وهذه هي السنة التي من ابتعد عنها يكون عدو الإسلام عندهم . قائلهم الله ما أجرأهم على الله .

ومنها قوله (ص ٨٥) : « ولو قد شاء لاستقر على ظهر بعوضة

(١) الآية ٥٩ من سورة آل عمران .

يضاً
سيم
ماع
يضاً
سكن
الآية
ت
عقله
بود
+
سده
آدم
كفر
ون
:
من
ه
بانه
ه
في
ذا
عد

فاستقلت به بقدرته ولطف ربهويته فكيف على عرش عظيم « هذا كلامه في الله سبحانه تدين جواز استقرار معبوده على ظهر بعوضه أمر مفروغ منه مقبول فيستدل بذلك على جواز استقراره تعالى على العرش الذي هو أوسع من ظهر البعوضة ! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ولا أدري أحداً من النثر نطق بمثل هذا الهدر قبل هذا السجزي والحرائي المؤتم به وأشياعهما ، ومن يجهل أن المشيئة لا تتعلق بالمحان ؟ وهذا مثل أن يقال : لو شاء لأكل وشرب ونكح وخلق مثله الى آخر تلك المحالات تعالى الله عن ذلك كله . كإفأ الله سبحانه العلامة الأستاذ الكبير الحسامي حيث علق على هذه الكلفة في كتابه (غوث العباد تعليقا واسعا يكشف عن مخباتها ، مما لا يتسع المقام لنقله ، فاكتفينا بالإشارة وفيه شفاء للقلوب .

ولا أزال أتعجب من ذلك الطبل القارغ الذي يدافع عن نحلته بأقلام الناس ، ويفكر بأدمغة الناس حيث حاول تأويل تلك الكلفة الشنيعة بأنها ضرب مثل ، مستدلاً بقول الله تعالى : **﴿ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها ﴾ (١)** ولم يدر المسكين معنى ضرب المثل ما هو لأن بلاغته موهبة فلا شأن له بالكتب ، ولم يتذكر قوله تعالى **﴿ فلا تضربوا الله الأمثال ﴾ (٢)** بل هذه الآية بمعنى أن الله سبحانه أن يضرب من الأمثال ما شاء في حق خلقه ، لا بمعنى إباحة تصغير شأنه تعالى إلى حد أن يجعل بحيث تصله البعوضة فوق ظهرها ، وهذا جنون ليس فوقه جنون ، تعالى الله عما يصفون . فتباً لمن يتصور معبوداً له تحمله بعوضة ، ومثله يكون ساقطاً عن مرتبة الخطاب .

ومنها قوله (ص ١٠٠) : « من أنبأك أن رأس الجبل ليس بأقرب إلى الله من أسفله . . . ورأس المنارة أقرب إلى الله من أسفلها »

(١) الآية ٢٦ من سورة البقرة .
(٢) الآية ٧٤ من سورة النحل .

وكلامه هذا يدل على أنه كان يتطلع إلى معبوده من ربوع الجبال
والمآذن والمراسد ، كما هو الصابئة الحرائية عبدة الأجرام العلوية ،
وأما المسلمون فهل يعتقدون أن الله سبحانه منزه عن المكان ،
ونسبته إلى الأماكن سواء ، وليس القرب منه بالمسافة ، ولا البعد
عنه بالمسافة ، قال الله تعالى ﴿ وأستجد وأقترب ﴾ (١) وقال الرسول
صلوات الله عليه « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » أخرجه
النسائي وغيره .

وهذا الخاسر وأشياعه يقولون : لا بل اطلع رأس الجبل واصعد
فوق المرصد تتقرب إلى المعبود ، فهل بعد هذا كفر ؟ ويلهج المسكين
في موضع بحديث « أين الله » على اضطرابه متناً وسنداً مع أن
أين قد تكون للسؤال عن المكان وقد تكون للسؤال عن المكافاة ،
فيكون الحديث بمعنى ما هي مكافاة الله عندك ؟ كما تجد تفصيل ذلك
في عارضة أبي بكر بن العربي ، ومن المعروف بين العرب قولهم : فلان
مكانه في السماء ، يعنون علو شأنه من غير ملاحظة السماء ولا التمكن
فيها أصلاً ، ومن هذا القبيل قول تابعة بنى جعد :

علونا السماء مجدداً وجدودنا وإننا لنبغى فوق ذلك مظهرها

وإني أوصى هؤلاء المغفلين ألا يسمعوا كلمتهم — في قرب من على
رأس الجبل إلى الله سبحانه — صغار التلاميذ في المدارس فيضحكوهم
بملاء أشداقهم على هذه الكلمة وعلى عقول قائلها ، لأنه لا يوجد
بينهم من يجهل أن الأرض كربة فسدت رأس هذا الواقف على هذا
الجبل في هذا القطر ، يماكس اتجاه رأس الواقف على رأس الجبل
الواقع في أمريكا مثلاً ، وكرية الأرض ثابتة بالكتاب والسنة كما يذكره
ابن حزم في الفصل فضلاً عن ثبوتها الفنى الذى لا يقبل المناقشة .

ومنها قوله في (ص ١٢١) في صدد الرد على من يقول إن هذا
لا نسلم أن مطلق المفعولات مخلوقة ، وقد أجمعنا وانفقنا على أن

(١) الآية ١٩ من سورة العلق .

الحركة والنزول والمشى والهرولة والاستواء على العرش وإلى السماء قديم» ويعتقد المؤلف قيام ذلك كله بالله سبحانه ، ومن ضرورة قدم الاستواء على العرش قدم العرش ، وتعقل قدم الحركة والمشى ونسبتهما إليه سبحانه شأن عقول هؤلاء القادة !!

ومن يعتقد مثل هذا المعتقد الصريح في الوثنية لا يصح تركه يعيش في الأرض فساداً ويؤم المسلمين ويناكحهم .
ومن أراد التوسع في معرفة فضائح هذه النحلة المفضوحة فليطالع « دفع شبه التشبيه لابن الجوزي » و « دفع شبه التلقى الحصني » وكتاب « السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل » الذي يرد فيه التقى السبكي على نونية ابن القيم ، وتكملتنا للرد المذكور ، وكتاب « الأساء والصفات للحافظ البيهقي » وقد أعيد طبعه حديثاً ، فمن طالعها بعناية لا تخفى عليه خافية من دخائل هؤلاء المجسمة فيقوم بواجبه نحو دعواتهم .

وجد غريب أن يجترىء مثل ناشر كتاب الدارمي وأذباله علي الدعوة علناً جهاراً إلى القول بأن الله يتحرك ويشى ويقوم ويجلس في مكان قديم ، في بلد فيه الأزهر الشريف تعالى إله العالمين عن هذه الوثنية ، ونشره يتولى الخطابة والإمامة للمسلمين في صلواتهم والوعظ . وإنما ضوضاء ذلك المأفون وجلبته في مثل هذا الوقت وقت طبعهم لكتاب من أضر كتبهم ونشره بين الجمهور لصرف أصحاب العزائم الصادقة عن التعليق على تلك الفضيحة ، فضيحة نشر الكتاب المذكور وإلا لما باليت بهديان مثله ، بل كنت أدعه يهذر بما شاء .
وكم قلت : الإقذاع جهد العاجز وحجة العجائز ، وموضع العبرة أن تكون دعاة الوثنية الأولى - كما ذكرنا - هم الذين يرمون الأمة بالإشراك .

ولعل الأزهر الشريف لا يتأخر عن القيام بواجبه نحو كتاب الدارمي وأمثاله حرصاً على معتقد الجمهور وإيقافاً لمذيعيه عند حدودهم . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .
